

التعامل مع أفراد الأسرة

د. لطيفة حسين الكندري

د. بدر محمد ملك



المُقدِّمة

للأسرة الناجحة مقومات أساسية لتعميق أواصرها وارتباطاتها ولا بد من الإحاطة بها علماً والوفاء بها عملاً كي تصبح المبادئ الرفيعة عادات يومية نستمتع بشمراها ونهيمن على تعاملات وعلاقات جميع أفراد الأسرة. **إن الاقتران بشريك الحياة بداية الطريق نحو توطيد الأواصر الأسرية واستكمال الحياة الطيبة التي لا تقوم إلا بدعامتين: نبل العواطف، وسماحة المواقف.** ومن هاتين الدعامتين



تنبت أخلاقيات نفيسة فوق الحصر نسميها الواجبات والحقوق التي توضح الحدود لاحقاً وتوثق النسيج الأسري دائماً.

تشير الإرشادات التربوية في بناء الأسرة إلى أهمية وضع قواعد تكفل التعامل الصحيح بين أفراد الأسرة منها إرساء منظومة للقيم خاصة بالعائلة، والانضباط، وربط السلوك بالعواقب، وحسن الإنصات، والحزم في منع الأمور الخطرة، والمشاركة والتفاعل في الأنشطة الأسرية، والتحلي بالأخلاق الحميدة، والتعاطف مع الآخرين والعمل التطوعي، والتوفيق بين الأولويات، والمدح بلا إسراف، وتطوير القواعد الأخلاقية والمنزلية مع نمو الطفل، وعدم استخدام العنف، وتعلم أخلاقيات العمل (بيترز، 2004م).

الأسرة في حقيقتها "كيان رُتبت عناصره بطريقة تمكّنه من أداء جملة وظائف يُعدّ إنجازها ضرورياً على صعيدي الفرد والمجتمع، وفي مقدمة هذه الوظائف أهمها تهيمُّ وضعاً ملائماً للتكاثر ورعاية الذرية وتربيتهم وتنشئتهم اجتماعياً، فتحفظ حياة الكائن الإنساني وتضمن بقاء النوع البشري واستمرار المجتمع. ومن وظائف الأسرة الأخر أنها جماعة تمد أعضاءها بالإشباع العاطفي والسكن النفسي، وتضطلع بتنظيم غريزة الحب بين الجنسين وضبطها وهذا ضروري لكل من الفرد والمجتمع" (عمران، 2005م، باختصار).

تأسسنا على ما سبق فإن التعامل مع أفراد الأسرة ينبثق من مبررات كريمة وينطلق من غايات عظيمة وفي هذه الرسالة بيان لأسسها السليمة، وأهم تحدياتها، وسبل التغلب عليها مع توجيه موجز ومركز لطرائق تجديد مهارة التعامل داخل المحيط الأسري بما يكفل تماسكه ويحفظ ديمومته عبر قنوات التلاحم النفسي، والتكافل الاجتماعي، والتنوير الفكري، والتنمية المستدامة.

10 طرق لتنمية التعامل مع أفراد الأسرة

1. تشبع الأسرة الحاجات النفسية لأفرادها



2. المحبة بين الزوجين أعظم منحة لأبنائنا وبناتنا
3. الأسرة مدينة الأخلاق الفاضلة
4. الحوار الفعال صمام الاستقرار
5. نقاوم المعوقات ولا نخضع لها
6. حسن الظن علاج سوء الفهم
7. تنويع الخطاب مع الطفل والشاب
8. المحافظة على دعائم الحياة الأسرية السعيدة
9. بالسماحة والحكمة نضبط السلوك
10. لا بد من تجديد التلاحم الأسري

شرح الطرق

الطريقة الأولى

تشجيع الأسرة الحاجات النفسية لأفرادها

يحتاج الإنسان إلى إشباع حاجاته المادية والمعنوية لإيجاد أسرة مستقرة في أوضاعها، وراقية في التعامل بين أفرادها، منتجة في غدها، متجهة نحو القمة في كل أحوالها. وما زال المربون في ميدان التربية يعتبرون نظرية العالم النفساني الأمريكي إبراهيم ماسلو من النظريات النفسية الهامة الجديرة بالمعرفة لكل المربين. لا بد للأسرة من أن تراعي إشباع تلك الحاجات النفسية والاجتماعية والبيولوجية بين أفرادها كي يكون التعامل بين أفرادها تعاملًا ناضجًا واعيًا متزنًا. أشار ماسلو إلى الحاجات النفسية التالية ونضم إليها بعض ملاحظتنا:

- 1- الحاجات الفسيولوجية Physiological Needs مثل الحاجة للطعام والشراب والكساء والسكن والزواج وهي الحاجات الضرورية لاستمرار بقاء الإنسان على قيد الحياة.
- 2- حاجات الأمن (Safety Needs (security) فالعلاقة التي تقوم على التهديد والتخويف هي علاقة تحطم الشخصية أما العلاقة القائمة على الاحترام والحب والسلام فإنها تصنع شخصيات طموحة وعلاقات اجتماعية متينة.
- 3- حاجات الانتماء (Social Needs (affiliation) للجماعة والمجتمع وتحقيق التوافق مع الآخرين من خلال الحب والمودة والبر. هذه هي دائرة التعامل والعلاقات المتفاعلة.
- 4- حاجات التقدير (Esteem Needs (Recognition) من كلمات ثناء وألقاب التكريم والتشريف.

5- حاجات تحقيق الذات Self-actualization Needs الرضا عن النفس والشعور بقدر كبير من السعادة الذاتية بعد تحقيق الأهداف وخدمة الأسرة والمجتمع والإنسانية. ولكي نعزز الإشباع النفسي بين أفراد الأسرة وصولاً إلى تعامل ناضج بين أفرادها لا بد من تحقيق الآتي:

- احترام الشخص احتراماً كاملاً لذاته الإنسانية المكرمة من الله سبحانه وكعضو في العائلة. من أهم سبل توثيق العلاقات بين الأقرباء توفير الاحترام (Templar, 2008, p. 34).
- مهما كانت الشواغل الكبرى فإن احتياجات الأسرة لها الأولوية القصوى.
- المتابعة الأسرية اليومية (ولو بالهاتف: أضعف الإيمان) تجنبنا الانحرافات السلوكية والمفاجآت الأليمة.
- المبادرة إلى التشجيع الإيجابي الواعي المتزن.
- التماسك والتواصل. تكمن خطورة اضطراب العلاقات الأسرية إلى أنها من أسباب التطرف لدى الشباب (سليمان ، 2008م، ص 190).
- إشباع الحاجات النفسية عملية حياتية مستمرة لضمان الدفء العائلي في السعة والضيق.

الطريقة الثانية

الحبة بين الزوجين أعظم منحة لأبنائنا وبناتنا

أعظم شيء يستطيع الزوجان تقديمه لأطفالهم هو أن يحب أحدهما الآخر فهذا عطاء عائلي متدفق يؤثر إيجاباً على تعامل أفراد الأسرة. إن أكثر الأشياء التي يستطيع الأب القيام بها من أجل أطفاله هو أن يحب أمهم، وأكثر أهم الأشياء التي تستطيع الأم القيام بها من أجل أطفالها هو أن تحب والدهم (زيجلار، 2008م، ص 143).

أن تحب زوجك هو أعظم ما يمكن أن تقدمه لطفلك. إذا اعتاد الأبناء والبنات رؤية الحبة والمودة التي تنضح من إناء الأبوين فإن روح المودة الأسرية ستسود الجميع وستسري في النفوس بسلاسة. امنح الحب والتقدير تحصد السعادة والمودة ولهذا فإن واجبنا جميعاً السعي لبناء بيوت تفيض بالمودة ودفء الأسرة وحسن التعامل بين أعضاء الأسرة.

يقول زيجلار بعد أكثر من ستين سنة من الحياة الأسرية السعيدة إن خير ما تعطيه لأبنائك حب شريك الحياة وأن الحب ليس أساس الزواج ، بل الزواج أساس الحب. أن تكون محبوباً هو أهم ثاني شيء في الحياة، أن تحب شخصاً فذلك الأفضل على الإطلاق (ziglar, 2002, p. 18, 64).

الحب بلا حدود هو حب غير مشروط. كل فرد في الأسرة يتعامل مع الآخر على أساس الحب غير المشروط فنحب الأم والأب والأخ والأخت والحفيد لأنهم هبة الله لنا ولا نحبهم لأنهم مصدر سرور

ومساعدة أو قوة ودعم فالحب المشروط يفسد القلوب قبل أن يفسد التعامل بين أفراد الأسرة. إن الحب بكل أوصافه ومعانيه هو توافق بين الأخلاء، وإخلاص في العطاء، وشكر في السراء، وصبر في الضراء. قال أبو العطاء السكندري: "ليس الحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً، أو يطلب منه غرضاً. فإن الحب من يبذل لك، ليس الحب من تبذل له".

نحن نحب أمهاتنا وآباءنا وأقرباءنا لأنهم يستحقون المحبة وليس لأنهم يتعبون من أجلنا ويعملون لصالحنا. نحبهم لأن الله كرمنا بهم هكذا الحب بلا مقابل ونحن نحب أولادنا دائماً ومهما كانت درجاتهم الدراسية وقدراتهم الفكرية إنه نبع بلا حدود وحب غير مشروط. النفوس السخية هي النفوس التي تعشق العطاء والبذل بسخاء. ومن كان هذا حاله فالبشرى نصيبه والتوفيق حليفه في الدنيا والآخرة.

استناداً إلى الفطرة والذائقة الإنسانية فإن الزواج رحمة، ومودة، وجمال، وسكن، وميثاق غليظ، وصحبة صادقة، وشراكة ناجحة، وتكامل خلاق، وتعاون وثيق، وتعامل لبق، وتعلم مستمر. قال جل ثناؤه "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم: 21). هذه المعاني الرقراقة هي أساس التعامل بين أعضاء العائلة.

حتى وإن حصل الخصام أو وقع الطلاق -لا قدر الله- فيجب أن تكون العلاقة بين الرجل ومطلقته علاقة مهذبة (كوفي، 2003م، ص 183) وفي غاية التسامح لأنها تؤثر في وجدان ومستقبل أطفالهم فالفراق الجميل وسيلة لتلافي الأناية، وقطع دابر الكراهية .

الطريقة الثالثة

الأسرة مدينة الأخلاق الفاضلة

المدينة الفاضلة لا تعني المثالية الكاملة بل تعني السعي إلى تطبيق مكارم الأخلاق ومن فعل ذلك واستمر عليه كان الأكمل إيماناً، والأسعد حالاً، والأطيب معيشة. إذا نجح الزوجان في تطبيق مهارات التعامل المهذب في حياتهما اليومية كان الطريق ممهداً للناشئة في السير في الطريق نفسه مع الأبوين والإخوة والأخوات.

ورد في الحديث الصحيح "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرًاكُمْ خَيْرًاكُمْ لِنِسَائِهِمْ" (رواه أحمد والترمذي). قال الشوكاني في كتابه *نيل الأوطار* شارحاً الحديث لنبوي السابق "فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ تَبَتَ لَهُ مَرْيَةٌ حُسْنِ الْخُلُقِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ، فَإِنْ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا كَانَ أَكْمَلَ النَّاسِ إِيمَانًا ... أَعْلَى النَّاسِ رُتْبَةً فِي الْخَيْرِ، وَأَحَقَّهُمْ بِالِاتِّصَافِ بِهِ هُوَ مَنْ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ، فَإِنَّ الْأَهْلَ هُمْ الْأَحْقَاءُ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْإِحْسَانِ وَجَلَبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضَّرِّ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَذَلِكَ فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الشَّرِّ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَرُطَةِ، فَتَرَى الرَّجُلَ إِذَا لَقِيَ أَهْلَهُ كَانَ أَسْوَأَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَقْلَهُمْ خَيْرًا، وَإِذَا لَقِيَ غَيْرَ الْأَهْلِ مِنَ الْأَجَانِبِ لَأَنَّتْ

عَرِيكَتُهُ وَأَنْبَسَطَتْ أَخْلَافُهُ وَجَادَتْ نَفْسُهُ وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَحْرُومٌ التَّوْفِيقِ" (باختصار).

إن المرأة الودودة والزوج المهذب في عملهما ، والولد اللطيف مع أصحابه إذا كانوا يتصرفون كذلك خارج البيت فقط ثم في البيت يتصرفون بلغة الخشونة، ومنطق الخصومة فهذا اغتراب مدموم، وتناقض صارخ ممقوت، وانفصام شائن في شخصية الإنسان يورث التعاسة لا محالة. إنها فعلا ورطة نفسية، وآفة اجتماعية ، وكارثة أخلاقية في غاية الخطورة.

تشير الدراسات في أصول التربية الإسلامية إلى أن المرأة تحب الزوج الكريم العطوف المتغافل عن الدقائق والمتجاوز عن الهنات، ولا يسفه قولها ولا يقلل من قدر عقلها. وعلاوة على ذلك كله فالزوجة تحب الزوج الذي يستمع إليها استماعاً إيجابياً. يجب الزوجان أن يقوم الطرف الآخر بغض الطرف عن الهفوات والأخطاء وخاصة غير المقصودة منها في الأقوال والسلوك. ويجب الزوج من زوجته سعة الصدر وحفظ الأسرار وحسن الظن والعطاء المتجدد والدعم المتواصل والتعاون الكريم.

من تبعات الحب بين الزوجين والإخوة والأخوات الذكر الحسن وصلة الرحم وغض الطرف عن النقص البشري. الطفل الذي يشاهد تلك المشاعر ويعاينها في سلوك والديه سوف يحقق الإشباع العاطفي ويسهل عليه لاحقاً إكمال مشوار والديه بعد أن ذاق الدفء الأسري المتألق.

التعامل الأسري السليم لا يكتمل ولا يتم إلا بمعرفة منزلة الأم والأب. إذا تتبعنا الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة عن فضائل الأبوة والأمومة نجد أن الجنة تحت أقدام الأمهات وأن الوالد أوسط أبواب الجنة أي أفضلها. قال النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل الأم "الزماها فإن الجنة تحت أقدامها" وقال عن فضل الأب "الوالد أوسط أبواب الجنة. فأضع ذلك الباب أو احفظه". إن الأم لا تستغني عن مساندة الأب في المنزل لإحداث التغيير الإيجابي ولضبط وتوجيه عملية التربية ولتوفير الدفء العائلي كي يكون حسن الخلق حاكماً في التعامل مع أفراد الأسرة وفق ميزان عادل؛ ميزان الحقوق والواجبات.



وفي السيرة النبوية أسوة حسنة للإنسانية كلها ففيها ومضات حضارية فذة في التعامل مع الأهل والسهر على خدمتهم والبر بهم، والإحسان إليهم، فرغم انشغالات المصطفى صلى الله عليه وسلم بأعباء الرسالة الضخمة إلا أنه ضرب لنا مثالا تطبيقيا خالدا عندما كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويرفع دلوه ويشارك في أعمال المنزل بكل تواضع وكامل الأريحية. قال الله جل ثناؤه " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب: الآية 21). والمؤمن يحتاج إلى أن يمرن نفسه كي يكون واسع الخلق نشيطا في تحمل تبعات المعروف بقلبه وفكره وقوله وفعله ومن هنا تدخل الأسرة بسلام في مدينة الأخلاق الفاضلة.

الطريقة الرابعة

الحوار الفعال صمام الاستقرار

إن الوظيفة الأساسية للحوارات الأسرية إيجاد التماسك والتفاهم والاحترام المتبادل بين جميع أفراد الأسرة وحينها تصبح الحوارات مادة ممتعة ولذة دائمة. هذه الوظيفة صمام أمان للأسرة والمجتمع فقبل أن تنمو الأفكار الشاذة والميول العدوانية والاتجاهات المتطرفة في نفوس أبنائنا وقبل أن تعشش في مشاعرهم وعقولهم الانحرافات النفسية نعالجها برحيق الحكمة وبريق البصيرة. الحوارات الحرة تحمي الجميع من مفاجآت أليمة فالأسرة التي تستخدم الحوار بفاعلية في محيطها تعالج الأخطاء في بداياتها فتناقش الشاب المضطرب قبل أن ينحرف وينحرف مع الأوهام التي تزين له السوء.

من أهم أسباب الخلاف بين الزوجين ضعف الحوار حيث أشارت إحدى الدراسات أن 17% من الأزواج و12% من الزوجات يعتقدون أن ضعف الحوار من أسباب المشكلات الأسرية الكبيرة (إدارة الاستشارات الأسرية، 2006م، ص 39، 41).

فيما يلي طائفة من الإرشادات لتنشيط الحوار الأسري وإيجاد بيئة داعمة له:

1. لا بد للأب والأم من تطبيق آداب الحوار وممارسة فنونه فيما بينهما وبذلك ينشأ الطفل في بيئة صالحة تقدر نعمة الحوار وتعرف أهميته عند الصغار والكبار. إن الأب المتسلط أو الأم المستهترّة من أهم أسباب فقدان الثقة بقيمة الحوار عند الأبناء والبنات.
2. الاعتذار من أهم آداب الحوار فلا بد أن يحرص أولياء الأمور على التلطف بالألفاظ والتراجع الفوري عن الألفاظ غير اللائقة. إن كلمة "آسف" وغيرها من الكلمات التي تشعر الإنسان بالأمان تجعل الطفل إنسانا مستقلا لا يصر على أخطائه بل يبادر إلى تصحيح مساره دون كبير عناء ودون عناد وإصرار وحفء. وعلى سبيل المثال فإن الزوج الذي يعتذر بصدق وأدب لزوجته إذا أساء إليها بكلمة سلبية يقدم درسا عظيما وشجاعا لأبنائه كي يمارسوا هذا الخلق مع بعضهم البعض طوال حياتهم فمستحيل أن يعيش الإنسان بلا أخطاء ولا بد أن يمارس فن الاعتذار ليحمي نفسه ويرتقي بأسرته.
3. الاستماع الإيجابي هو أن نستمع إلى كلام أو شكوى أبنائنا دون أن نشغل في هذه اللحظة بأداء مهام أخرى (عدم الانشغال بقراءة جريدة أو مشاهدة التلفاز) وحرى بنا أن نستمع إليهم في صغرهم كي يستمعوا إلينا في كبرهم. البعض يزرع من كثرة أسئلة الأطفال وهذه ليست مشكلة بل هي في حقيقتها عادة صحية نحتاج إلى ترشيدها واستثمارها في بناء علاقات متينة مع الناشئة في إطار الثقة والمودة. الأسرة السعيدة لا تتأفف ولا تنزعج ولا تتدمر من كثرة حوارات الأبناء بل تستثمرها بصورة صحيحة.

4. من الآداب الهامة أن يجلس مع الطفل أثناء المحاورة في هيئة مساوية له فلا نقف والطفل جالس أو العكس ثم نتحدث إليه بل نحاول أن يكون الحوار في هيئة مريحة للطرفين, فنجلس معه ونقترب منه ونتواصل معه لفظيا وجسديا. إن هذا الدفء العائلي واحترام ذات الطفل رغم بساطته فإنه عظيم الأثر.



5. يرتكز الحوار الإيجابي على كلمات مفعمة بالحب "يا ابنتي" "يا حبيبي" هذه الكلمات هي نداء لطيف وحنان جميل تجعل محاوراتنا ذات نكهة ساحرة تجذب الأبناء وتستقطبهم إلينا وفي المقابل فإن هناك عبارات خاطئة وجافة تجعل الطقس أو المناخ الأسري جافا مثل قولنا "اسكت" "أنا مشغول" "أنت لا تعرف كيف تتحدث" "ستتحدث لاحقا" "لا تكن سفيها".

6. لا بد من تفعيل جميع أعضاء الأسرة في الحوار ومن الخطأ أن ينشغل أحد الأبوين عن ممارسة الحوار بحجة أنه مشغول ومهما كانت الأسباب فهذا العذر غير مقبول.

7. إن آفاق الحوار في فضاء الأسرة واسعة جدا فالحوار عبر الرسائل القصيرة من خلال الهاتف النقال أو رسائل الانترنت وجلسات المساء وقبل ذهاب الأبناء للمدارس وبعد عودتهم من مدارسهم فترات رائعة لتوثيق العلاقات وتقديم التوجيهات.

8. لا بد من أخذ الحيطة والحذر من الإسراف في مشاهدة التلفاز لأنه يقلص مساحات الحوار في بيوتنا فنحرم من حوارات نافعة. أغلق التلفاز أثناء الحوار الهادف وأيضا أثناء تناول الطعام (Hagelin, 2009, p. 85-87).



9. هناك مناسبات كثيرة وهامة يمكن استثمارها لإيجاد مساحات حوارية ذات فائدة كبيرة ومنها خطبة الجمعة فبعد عودة الأبناء من الصلاة يمكن أن يدور الحديث عن أهم عناصر الخطبة بصورة موجزة, أو عندما ينتهي الطفل من قراءة كتاب يمكن محاورته حول الفوائد التي استفاد منها الطفل وحينئذ

تصبح المسارات الحوارية منابع ثقافية ومنابر فكرية. وكذلك عندما يخرج الآباء والأمهات مع أبنائهم إلى دور السينما للاستمتاع بمشاهدة فيلم من الأفلام فإن الحوارات النقاشية التحليلية عن أحداث الفيلم من شأنها أن تنمي الملكة النقدية عند الناشئة وتولد اهتمامات مشتركة واتجاهات متقاربة.

10. لا بد للمدرسة أن تتم مسيرة الأسرة وتدعم جهودها سعيا إلى إعلاء شأن الحوار المهذب داخل الفصل وخارجه على حد سواء. المدرسة الدعامة الثانية القادرة على تعميق قيمة الحوار في نفوس الناشئة بصورة موضوعية.

إن انعدام الحوار العقلاني المترن داخل الأسرة من أكبر عوامل الانحراف الفكري والضياع النفسي والتمزق الاجتماعي لا سيما في محيط المراهقين من شبابنا وبناتنا. إن أكثر المشكلات ناتجة من انسداد القنوات الحوارية بين الزوجين أو مع الأبناء. لهذا فإن تنشيط الحوار الإيجابي بكافة أطيافه من أهم عوامل

بناء العائلة السعيدة. إذا كان تعامل أفراد الأسرة في حدود المأكل والمشرب وضرورات الحياة كان التعامل آليا وانخفضت نسبة المشاعر النبيلة، وضعفت الصلات الجلييلة وزادت الانحرافات الفكرية والسلوكية. الحوارات الأسرية الهادفة تسعفنا لتصويب المفاهيم الخاطئة في مهدها.

الطريقة الخامسة

نقاوم المعوقات ولا نخضع لها

ومن الجدير بالتدوين والتأمل أن تراجعنا عجبيا بدأ يصيب نصيب الأسرة في تعاملها وتواصلها وفي تنشئة الناشئة حيث بدأ يتقلص دورها بصورة ملحوظة ومتفرقة ومخيفة. وإذا كانت الأم تتعهد برعاية الطفل بشكل شامل في سنواته الأولى فإن التحاق الأمهات اليوم بمقار أعمالهن ودخول المريات إلى البيوت لتفادي النقص أحدث تغيرات دراماتيكية في المشهد العائلي فما عادت التنشئة الاجتماعية خاضعة تماما لسلطان الأسرة بل ولا حتى الدولة نفسها حيث أصبحت المحطات الفضائية تزامم مراكز التنشئة وقد تتفوق عليها أحيانا من حيث التأثير وقدرة الاستقطاب والإقناع والتوجيه والإرشاد مما قد يولد بيئة فاسدة وثقافة مشوهة غير متوازنة.

استنادا إلى ما سبق فالأسرة اليوم بحاجة حقيقية لتجديد آلياتها لمواجهة ومواكبة المستجدات بحيث تصبح لتوجيهات الأسرة وتوطيد علاقات أفرادها اليد العليا أملا في ضبط الواقع وتقليص سلبيات الفضائيات وسائر التحديات إذ تتجه الحياة العصرية نحو الفردية وهي إحدى نقاط الارتكاز للحدثة (مجلة العلوم الإنسانية، 2009م، ص 504). **إن تعزيز العلاقة بين الآباء والأبناء تربويا ونفسيا واجتماعيا وتشجيع والدية متعاونة في تربية الأبناء والبنات من أهم روافد التعامل الصحيح بين أفراد الأسرة.**

بدأت الأسر العربية تصبح أسر صغيرة (نووية) بعد أن كانت الأسرة الممتدة هي السائدة حيث الجد والجددة والأعمام مما يدل على وجود مفارقات جوهرية وتغيرات في البناء العائلي وعلاقات أفرادها. لازالت القبيلة تلعب دورا كبيرا في عملية التماسك الأسري في منطقة الخليج العربي (الصبيح، 2009م، ص 159) والمهم أن لا تكون على حساب مصلحة المجتمع المدني ومؤسساته وقيمه.

الثقافة الأسرية السليمة خير مسلك لنقل أفراد الأسرة من التعاطف السلبي والتعامل

الروتيني إلى التكاتف الإيجابي والتفاعل التنموي. يقول محمد الغزالي (2002م) عن طريقة مقاومة المعوقات الأسرية "وقد رأيت أن فساد ذات البين في الحياة الزوجية يمتد إلى الأولاد، ويعرضهم لأسوأ الخلال وأوخم العواقب.. ما أجمل أن يكون الحب المتبادل



والاحترام المتبادل قوام العلاقة بين الزوجين أو الأبوين! إن أثر ذلك في الذرية عميق، وهو سياج متين لرسالة البيت في الداخل والخارج... إن الزوج والزوجة إنسانان متكافئان في الحقوق والواجبات" (ص 114-115، باختصار). ويمضي الغزالي في الكشف عن حقائق ودقائق السعادة الأسرية فيقول شارحاً لها "وعندما تقوم البيوت على السكن المستقر، والود المتصل، والتراحم الحاني فإن الزواج يكون أشرف النعم، وأبركها أثراً... وسوف يتغلب على عقبات كثيرة، وما تكون منه إلا الذريات الجيدة، لقد شعرت أن أغلب ما يكون بين الأولاد من عُقد وتناحر يرجع إلى اعتلال العلاقة الزوجية". "الأسرة هي الكهف الوحيد الذي يجمع بين رجل وامرأة، ومن ثم فإن تكوينها دين، والحفاظ عليها إيمان، ومكافحة الأوبئة التي تهددها جهاد، ورعاية ثمراتها من بنين وبنات جزء من شعائر الله" (الغزالي، 2002م، ص 110).

ومن أهم سبل توثيق العلاقة بين أعضاء الأسرة كظم الغيظ وتسكين الغضب إذا هاجت رياحها الكريهة بأن يقوم أحد الأطراف بتخفيف حدة الموقف ونزع فتيله على الفور. قال أبو الدرداء لأم الدرداء إذا غضبتُ ترضيني وإذا غضبتِ رضيتك فمتى لم يكن هكذا ما أسرع ما نفتر". والحكيم حتى في غضبه هو الذي لا يطعن في ذوق زوجته شريكة حياته، فقد اختارته طائعة من بين كل الرجال وكذلك المرأة العاقلة المخلصة دائمة الإعجاب بزوجها الذي اصطفاها خالصة له من بين بنات حواء.

الوقوع في الأخطاء طبيعة بشرية المهم علاج الأخطاء بحكمة واقتلاع دواعيها وكُره الفعل المذموم لا الفاعل الذي قام بالفعل. قال أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي. هذه رؤية نفسية عميقة للغاية تجعل الأسرة تتعامل بفكر مستنير مع العقبات كلها فالذي يقع في الخطأ ويقترف المعصية لا نحب فعله ولكننا نحب الشخص ذاته. إن بيان هذه المسألة وما فيها من المشاعر المرهفة ذات أثر إيجابي كبير في ساعات الحزن وتعين الساعين لاحتواء الأخطاء وتحسين العلاقات الاجتماعية وسرعة الرجوع إلى الصواب.

الطريقة السادسة

حسن الظن علاج سوء الفهم

معظم المشكلات الأسرية تنشأ من سوء الفهم فهناك من يفهم الفكاهة في بعض المواقف على أنها إهانة شخصية وسخافة مرفوضة وقلة أدب ولهذا فمن الحصافة أن لا نُكثر من الفكاهة فالإتزان أمان. وهناك من يفسر التأخر في الحضور بالموعد تكبر أو استهتار فلا بد من تقديم الاعتذار على الفور لا التراخي حفظاً للود ورعاية للوقت. إن إحسان الظن بكل فرد من أعضاء الأسرة من أهم أخلاقيات التعامل المهذب والتفاعل الناجح. ومن درر العرب في أمثالهم ما يضرب في حسن الظن بالأخ عند ظهور الجفاء منه: "مَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِإِخْوَانِهِ نَصِيباً أَرَأَى قَلْبَهُ؟" يعني أن الرجل إذا رأى من أخيه إعراضاً وتغيراً

فَحَمَلَهُ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ حَسَنٍ وَطَلَبَ لَهُ الْمَخَارِجَ وَالْحَذَرَ خَفَّفَ ذَلِكَ عَنْ قَلْبِهِ وَقَلَّ مِنْهُ غِيظُهُ" (معجم الأمثال والحكم لأبي الفضل الميداني). وقالوا "والعاقل يحسن الظن بإخوانه".

ومن العوامل المؤدية إلى تحسين التعامل بين الأقرباء لا سيما في حالات سوء الفهم ما يلي:

- التماس العذر لمن بدر منه الزلل. قال علماؤنا " ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك". سبعون مرة كناية عن سعة وعظمة إحسان الظن.
- آباؤنا وأمهاتنا يخطئون أيضا فهم بشر مثلنا (Templar, 2008, p. 20) فلا نحمل أنفسها ما يخالف طبائعنا.
- العفو عند المقدرة من صفات الكرام البررة. ومن الزهيريات الخليجية¹ في هذا المعنى: "خلك يا صويحيي دوم على الطيب .. وإن جرحك من تحب، جرح الأحبة يطيب".
- الاستماع والحوار والإقناع والرفق صمامات الأمان في كل مكان.
- الابتعاد عن اللوم والحذر من لعبة الضحية والمسكين والمظلوم لأنه مرض للأفراد والشعوب. لوم الآخرين واتهامهم بالتآمر عليك تهرب من المسؤولية ولون من ألوان إفساد العقل.
- الثقة المتبادلة قوام الأسرة.
- الحزم في تطبيق القوانين لا يتنافى مع الرفق.
- نزل على رأي الأكبر سنا إذا اختلفنا وترك المرء والجدل ثم ننظر بالأمر لاحقا بالتفصيل مع تمحيص الدليل. وفي الآثار: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُؤْفَرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمَ صَغِيرَنَا، وَيَعْتَرِفَ لِعَالِمِنَا".
- تداول أطيّب الكلام والعبارات المتأنقة (لو سمحت، شكرا،...). قال الحق سبحانه "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" (البقرة: 82).
- المبادرة للاعتذار والاستغفار فور وقوع الزلات علامة يقظة القلب، ونبض الضمير.
- حل المشكلات بين الأشقاء دون تدخل الآباء إلا في حال الضرورة. الأشقاء أقدر على تسوية الأوضاع بينهم فإذا لم يستطيعوا الوصول للحلول نقدم لهم مجموعة حلول بديلة أو معينات ونتركهم لحل مشكلاتهم.
- عدم ترديد الكلمات الاستفزازية ونسيان الحوادث الماضية ضد الآخر والحذر من ترديدها في مواضع الخصام كلما تجددت المنازعات.

¹ الزهيريات: مفردتها زهيرية نوع من أنواع الشعر الشعبي الموروث المعروف عند سكان الخليج العربي لا سيما في الكويت والعراق والبحرين.

• ليس من العيب أن يتخاصم الأشقاء لفترات قصيرة أحيانا ولكن المهم أن نتعلم الدروس من الأحداث وأن لا نبالغ في خصامنا وأن ندرك أن سلامة الصدور من الأحقاد أعظم نعمة تجاه العباد.

• الدعاء الصالح للأقارب وغيرهم يُذهب الشحناء.

الطريقة السابعة

تنويع الخطاب مع الطفل والشاب

لكل شخص طريقة في التعامل معه وخطابنا التربوي يجب أن يتحدد مع الناشئة حسب أعمارهم وطبائعهم ونشاطهم. فيما يلي خطوات نافعة للتعامل مع الطفل عموما:

1. مدح السلوك الإيجابي فالثناء يثبت الأداء.
2. تحليل القصص الهادفة ومناقشتها من مثل انتقاء قصص عن التعامل الأسري وبر الوالدين وتعاون الأخوة وثمره المحبة.
3. الحوار السقراطي عن طريق الأسئلة والإجابات القصيرة بهدف ترسيخ القيم الإيجابية وتصحيح المفاهيم الخاطئة. **إن الحوار الجيد هو الذي يختزل الأفكار العميقة الكثيرة في عبارات واضحة قصيرة فتقترب المعاني بجلاء.**
4. السماح للطفل في التعبير عن مكنوناته لا سيما ساعة الغضب والحزن والفرح.
5. تشجيعه على الفكر الجماعي والعمل مع روح الفريق والقيام بأعمال تروحية بصورة جماعية.
6. تدريب الطفل على مصارحة الأهل بثقة وأمانة وارتياح.
7. توزيع مهام البيت (النظافة والتدريس واستقبال الضيوف) وعدم التركيز فقط على جهود الأم.
8. أن يقوم الكبار بمشاركة الصغار ألعابهم من حين لآخر فإن هذا يكسر القيود والحواجز بين أفراد الأسرة ومدعاة للطفل لأن يبت كل ما في خاطره.

كيف نتعامل مع الطفل المراهق ونكسب مودته كي نرتقي في أسلوب التعامل معه؟

- فهم احتياجاته والاستماع إليه والتقرب منه.
- التعامل مع المراهق كراشد يحتاج إلى النضج والشعور بمزيد من الاستقلالية في اختيار الملابس، والترويح عن النفس، وتكوين صداقات جديدة، ورسم أهداف مستقبلية.
- إتاحة الفرصة له للمشاركة في القرارات الأسرية الهامة وتعويدته على توثيق العلاقات مع الأقرباء وبناء جسور التواصل معهم.
- بيان مسئولية المراهق في احترام قوانين الأسرة والمجتمع والتمتع بالحقوق دون عقوق. فمن حقه أن يعبر عن رأيه ويناقش الكبار بأدب ولباقة.
- توعية المراهق بالمهارات الحياتية من مثل (طرق حل المشكلات الاجتماعية والنفسية، الحوار الهادف، فن الاعتذار، اختيار الأصدقاء، المحافظة على البيئة، المحافظة على الصحة مع التركيز على بيان أضرار التدخين والمخدرات والحبوب المنشطة...).
- **تعظيم شأن العفة مع تقدير الجنس الآخر والتعامل بين الجنسين على أساس الاحترام والاحتشام وآداب الإسلام.**
- **تشجيع المراهق والمراهقة على التجميل فالله جميل يحب الجمال وتغييرهما من الإسراف والتبذل والتبرج المنهي عنه شرعاً.**
- مساعدته في رسم أهدافه وبناء شخصيته المتميزة.
- الحذر من التعامل معه بأسلوب التجريح والتوبيخ والاستهزاء فإن التمادي في ذلك يهدم كيانه، ويسحق كرامته، ويهدد إنسانيته.
- المشاركة في بعض ما يحبه المراهقون (دخول السينما - مشاهدة المباريات الرياضية-التسوق- الألعاب التقنية..). كي تتوثق العلاقات.
- الحذر من الاستهتار والسخرية من لبسهم وهواياتهم فإن الأذواق متغيرة بحسب الأزمنة والبيئات والعمر الزمني للأفراد.
- تكليف المراهق ببعض المسئوليات الفردية والأسرية التي يجب القيام بها كي يتدرب ويعتاد تحمل تبعات الأعمال بالتدرج وتصويب الخطأ برفق.
- توضيح الأمور الصحية وتعاهده بالتربية الجنسية السليمة ونشر الثقافة الصحيحة.
- **جلسات المصارحة المنتظمة مع الوالدين وبقية أعضاء العائلة وتعويد المراهق على الصدق عند وقوع أي خطأ حتى لا يكبر الخطأ ويصعب علاجه ويصير مستعصياً.**
- الاحتفاء بالإنجازات التي قام بها المراهق.
- البعد عن المثالية والنظر إلى الشاب نظرة واقعية متحررة من الجمود فلكل عصر ملامحه. يميل بعض أولياء الأمر إلى تصوير الماضي بصورة زاهية خالية من الأخطاء بصورة تبالغ في تجميل الماضي

فيقولون لأبنائهم كنا لا نفعل كذا وكذا أبدا... فيشعر الشاب بأنه شاذ وغير طبيعي فيمعن في الانحراف.

● الذهاب مع المراهقين لمجالس العلم والمتنقيات الثقافية والأمسيات الشعرية وسيلة عملية لتوثيق العلاقات.

الطريقة الثامنة

المحافظة على دعائم الحياة الأسرية السعيدة

● السعي الحثيث وبذل الغالي والنفيس ليكون الزواج قرّة عين وراحة للنفس. قال جل ثناؤه "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (الفرقان: 74).

● أخذ زمام المبادرة وسن السنن الحسنة في التعامل الراقى والوفاء الدائم.

● تصيد الحسنات فالحسنات يذهبن السيئات (النظرة الكلية البعيدة عن المثالية من أسباب الانسجام في الحياة الزوجية). الجبال من الحصى فلا تستصغر المعروف مهما كان صغيرا (الابتسامه – الرسالة – الهدية – الثناء...).

● إشباع الحاجات "اعط كل ذي حق حقه" (الجانب الجسدي، العقلي، العاطفي، الروحي).

● الواقعية في التفكير فلكل أسرة خصوصياتها .

● الوفاء بالواجبات والحقوق.

● التعطف المفضي إلى التعاون والتراحم بين أفراد الأسرة. قال علماؤنا "مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَعْسَلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى".

● الاتفاق على إيجاد والدية متعاونة وتوزيع المهام من أهم أسباب التماسك الأسري.

● احترام الاختلافات واستثمارها. تشير الدراسات إلى اختلاف طباع الذكر عن الأنثى ولا بد من مراعاة ذلك فعلى سبيل المثال تستخدم المرأة في اليوم ما يقارب من 20 ألف كلمة وطريقة وحركة (لغة الجسد) للتحدث وتوصيل المعلومات وذلك مقابل 7 آلاف طريقة للرجل (Pease & Pease, 2004, p. 8).

● نبذ الخرافات والمحبطات (توقف عن لوم الآخرين ولا تلعب دور الضحية فتضيع مستقبلك وتظلم أسرتك).

● الإيمان الجازم بقدرة التربية على الإصلاح. التربية ليست تحذيرات وأوامر وتسلط بل مشاركة وعناية وتنمية وتعامل مع الآخرين على بصيرة.

- حصر الخلافات الزوجية في نطاق ضيق قدر الإمكان. كل الأسر عندها معوقات المهم أن نتغلب عليها لا أن نستمر فيها.
- ممارسة آداب المتعلم والمعلم داخل النسق الأسري فهي جسور التواصل الصحيح وجذور التفاعل القويم.

الطريقة التاسعة

بالسماحة والحكمة ضبط السلوك

الحاجة ماسة لأن نسامح وننسى ونصلح ونسعى لبناء علاقات صحية بين أفراد الأسرة أساسها الاحترام المتبادل وبطانتها المودة الدائمة. من المهم أن نتلافى تماما اللجوء إلى الغلظة في القول والشدة في التعامل بين الزوجين أو في التعامل مع الأطفال والشباب. شيمة السماحة من أكرم الغرائز وهي منظومة من القيم تتضمن بذل في اليسر والضيق، وسهولة في الأخذ والعطاء، وحسن استقامة في التعامل. ورد في الأثر "إذا أراد الله بقوم نماء رزقهم السماحة". وقال علماؤنا "أصل السماحة السهولة في الأمر وذلك لأن سخاء النفس وسعة الأخلاق والرفق بالمعامل من أسباب البركة، والعسر يذهبهما ويوجب الشؤم والخسران".

الجزرة تغلب العصا (Templar, 2008, p. 68) وكما في التراث

العربي "الكلام اللين يغلب الحق البين". **إن العقاب البدني ليس بمحفز جيد لفاعلية الأفراد بل يضر علاقاتهم ويفسد تعاملاتهم**، ولقد نمت التوجهات التربوية المعاصرة مؤيدة لهذا التوجه، بل حتى في حقل القيادة نجد روادها ينتقدون أسلوب العصا؛ لأنه حافز منفر وقليل النفع. كتب ستيفن كوفي (2006م، ص 341) نقده اللاذع لطريقة العصا والجزرة: "أسلوب العصا والجزرة في التحفيز ينطبق على الحيوانات، أما الناس فلديهم القدرة على الاختيار. يمكنك أن تشتري ظهر إنسان لكنك لا تستطيع أن تشتري قلبه أو عقله، يمكن أن تشتري يديه ولكن ليس روحه". وفيما يلي بعض الصور التي تتناقى مع معاني السماحة مع التأكيد على أن الحزم في وقته وشروطه مطلوب في تربية البنات والولدان إلا أنه لا يعني جرح المشاعر وشج الوجدان.



إذا اعتاد الوالد والولد على العصا نزعنا الرحمة من قلوبنا، وزرعنا الإكراه والإجبار والتسلط في بيوتنا، وفقدنا الإبداع ومن شب على شيء شاب عليه. **كثير ممن اعتاد ضرب الأطفال لم يستطع التوقف عن تلك العادة عندما يكبر أولاده أثناء وبعد سن المراهقة ... ودفعت**

الأسرة ثلثا غالبا وهرب الفتى مهاجرا بروحه أو جسده أو الاثنين معا... بسبب عادات قاسية قاسية يمكن التخلص منها وتحقيق مقاصد الإصلاح بدونها. بالإمكان التهذيب والتّعليم والتعامل السليم بلا ضَرْبٍ ولا تسلط عقيم. إن القضية قضية مبدأ إنساني مع الطفل أم المرأة أم المعلم أم الرعية وهو مبدأ يجب أن لا يحكم علاقات الأسرة.

وضع عبدالكريم بكار (2009م) عشرة قواعد لتربية الأبناء منها قاعدة (لا للضرب) فينبغي الابتعاد عنه وعلينا "أن ننظر إلى الضرب في مسألة التأديب على أنه الشيء الذي لا يصح أن نفكر فيه، لا من بعيد ولا من قريب، وعلينا كذلك أن ننظر إلى الحاجة إليه على أنها بمثابة اختبار لنا ، فإذا وجدنا أنفسنا مستغنين عنه كنا ناجحين في تربيتنا، وإذا وجدنا أنفسنا محتاجين إليه بوصفه الحل الوحيد كان علينا أن نراجع أساليبنا التربوية؛ لأنها تنطوي حينئذ على خلل ما" (ص 93-94). ويضيف بكار أيضا فيقول "إن الدول قد توقفت عن التعذيب والضرب في السجون لما ينطوي عليه من الإهانة والإضرار بإنسانية الإنسان ، وإن علينا أن نتوقف عنه أيضا في بيوتنا من باب أولى" (ص 94).

وتشير الدراسات عموما إلى أن الإيذاء النفسي يمثل أكثر أنواع الإيذاء تفشيا بنسبة 33.6% يليه الإيذاء البدني بنسبة 25.3% وغالبا ما يكون مصحوبا بإيذاء نفسي، يليه الإهمال بنسبة 23.9%، واحتل الحرمان من المكافأة المادية أو المعنوية المرتبة الأولى من أنواع الإيذاء النفسي بنسبة 36% تليها نسبة الأطفال الذين يتعرضون للتهديد بالضرب 32% ثم السب بألفاظ قبيحة والتهكم 21%، ثم ترك الطفل في المنزل وحيدا مع من يخاف منه (مثل العمالة المنزلية). ومن صور التعامل الخاطئ تعرض الطفل للصفع على يد الأكبر منه إذ تشير بعض الدراسات إلى أن 20% تعرضوا لذلك ثم القذف بالأشياء التي في متناول اليد 19%، ثم الضرب بالأشياء الخطيرة 18%، ثم تعاطي الدخان في حضور الأطفال 17%. هذه كلها وبلا استثناء تتنافى مع السماح المفضية إلى علاقات صحية ويجب أن تتلافى فعلها ونستبعدا من تعاملاتنا خاصة في تعاملات الكبار مع الصغار. إن الأسرة مهد المودة، وأصل الرحمة، وموطن السكن والاستقرار وكل ما يتعارض مع ذلك لا يعتبر من قيم السماح في شيء لأنه يعيق توطيد أواصر المحبة ويدمر الصلات الإيجابية.

الطريقة العاشرة

لا بد من تجديد التلاحم الأسري

إن انتقاء العبارات الايجابية الموحية بالحب قولاً وكتابة واجتناب البرمجة السلبية في الجدل والهزل لا سيما في أول الصباح وآخر المساء من أنفع الطرائق العملية لزرع أشجار المحبة، وأزهار المودة. إن صفة الصلاح تتجلي في التأني في اختيار الألفاظ وفحص المعاني وقديماً جاء في وصف الصالحين أنهم يَنْتَقُونَ حَيْدَ الْكَلَامِ، كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ الثَّمَرِ. كذلك كتابة رسالة ود ومحبة وتوجيهات ودعوات صالحة

لأبنائنا وبناتنا في سن المراهقة لها فائدة كبيرة (Hagelin, 2009, p. 85-87) وهي من موجبات التعامل اللبق بين الأقرباء وغيرهم. إن جلسات المصارحة هي جلسات تتفق الأسرة عليها من حين لآخر في مكان هادئ لتقييم المسيرة، والتعبير عن الرأي، والتناقش في الأمور بكل شفافية. هذه الجلسة الحوارية في غاية الأهمية إذا كانت مبنية على دعائم التواضع، والاعتراف بالتقصير، وقبول الاعتذار، والاسترشاد المشترك. إن التربية ليست قاصرة على الصغار بل تربية الكبار وتدريبهم على التفكير الناقد واكتسابهم المهارات التربوية من أهم اهتمامات التربية المعاصرة (Brookfield, 2005, p. 168).

لا يمكن للوالدين القيام بنشر معالي الأخلاق ومعاني السعادة أسريا إلا بممارسة التسامح والصفح الجميل ومباشرة النصيحة والموازنة بين العاطفة والعقل، والحقوق والواجبات، وتلبية احتياجات اليوم ومتطلبات الغد، وتحقيق الذات وخدمة المجتمع، والموازنة بين الروح والمادة. قبل أن نطلب من أبنائنا وبناتنا ممارسة التسامح بينهم يجب أن نمارسه سلوكيا معهم حينئذ يطغى على تعاملهم ولا يغيب التسامح عن سماء واقعهم.

المناسبات السارة (الأعياد-القدوم من السفر-النجاح-الحصول على جائزة-الشفاء...) محطة لتحديد الارتباطات الأسرية وتوثيقها بالصور التذكارية والهدايا الرمزية وكلمات الإطراء والحفلات الإبداعية إذا كان ذلك مناسبا. إن استثمار الأحداث السعيدة بيئة ايجابية وفرصة ذهبية لتبادل المشاعر وإزالة بقايا المشاحنات، ومحو رواسب الغضب البغيض، ونزع دواعي سوء الفهم. ومن وسائل التجديد الذي يحضنا للإسلام عليه زيارة بيت الله تعالى، وتلاوة القرآن الكريم، وصلاة الجماعة، ومجالس العلم فهذه العبادات وغيرها تحتاج لمن يعتنمها فهي بكل مراتبها تعضد من شأن الروابط الأسرية بالتأكيد، وتزيد من فاعليتها إلى حد بعيد. يقول بعض خبراء الإدارة الأسرية "أديا شيئا من صلاتكما معا . فالدراسات تشير إلى أن الزوجات والأزواج الذين يصلون معا معدلات طلاقهما أقل من 3%" (زيجلار، 2008م، ص 149).

ومن أهم أسباب العون الدعاء المتواصل فقد ورد في الحديث أن دعوة الوالد لولده (الأصل للفرع) دعوة مستجابة فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ" (رواه أبو داود). وهناك من الناس من يبذل كل الأسباب ليحقق الترابط بين أبنائه ويغفل عن الدعاء وهذا لا يليق بمن يطمع بالبركة ويدرك أن خزائن الخيرات بيد الله وحده.

إن مواصلة الدعاء الصالح بصفة منتظمة تعزز الروابط الأسرية وتحفز نفوسنا لتحسين العلاقات، فالمرء قد يبذل كل الأسباب الدنيوية المادية المتاحة ثم يغفل أو يتكاسل عن استخدام سلاح المؤمن وحصنه الأمين: الدعاء. إن شعار التوافق العائلي لا يتحقق إلا بدوام ترديد هذه الكلمات الرائعة "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَنْتَقِينَ إِمَامًا" (الفرقان، الآية 74). هذه الكلمات تحتوي على مضامين ضخمة، ومفاهيم مهمة من مثل التفكير في الأهداف الكبرى في تعمير الأرض، والتمتع بالخيرات، وإقرار بأن القلوب بيد الله وحده فهو واهب النعم ومعيدها، ومبيد النقم وقاهرها.

ولا يكتمل الحديث عن تجديد العلاقات إلا بالتطرق إلى أن الأمور الرمزية الصغيرة تعني الكثير للزوجين. يقول ديل كارنيجي "يجمع الناس على أن الزهور هي لغة الحب وأنها على صمتها أبلغ من كل بيان وهي مع هذا لا تكلف كثيرا فباعثها في كل ركن من أركان الطريق، وبقاقتها لا تكلف أكثر من دراهم معدودات، ولكنك متى عرفت كم يندر أن يحمل الزوج لزوجته باقة منها، لحسبت أنها من أفدح الأشياء ثمنا وأصعبها منالاً!". الكلمة الطيبة كذلك ثمينة للغاية بين أعضاء الأسرة ينساها البعض وقد لا يدرك عظيم تأثيرها إلا القلة. **عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «البرُّ شيءٌ هينٌ، وَجَهٌ طليقٌ، وَلِسَانٌ لِينٌ». وقال بعض الحكماء: «الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح» .**

وتظل الرياضة والرحلات والأسفار وساعات الفكاهة ومشاهدة فيلم سينمائي مرح من الساعات المفضلة والأيام المنقوشة في الأذهان والساكنة في أعماق الوجدان وهي كلها من عوامل التجديد العائلي التي تكسب التعامل والعلاقات المزيد من نفحات السعادة بين أفراد الأسرة مما يقوي علاقتها وينمي نمط التعامل الفعال بين أفرادها.

الخاتمة

الإيمان المتجدد بأن الحياة الزوجية - رغم كل تحدياتها - تستلزم المودة والرحمة والسكن وكلها مكونات أساسية للسعادة الزوجية وامتداداتها الأسرية. ويمكن التفكير في فنون التعامل السليم بين أفراد الأسرة، والتوصل إليها، والتدرب عليها، واستجلاء حقيقتها بالتعلم والممارسة والتدرب فهي حاجات أساسية لا بد من إشباعها. هذه المكارم الزوجية إذا سادت العلاقات وكانت أساس التعامل بين الزوجين فإن الطريق ممهد حينئذ لتوطيد الارتباطات والأواصر بين سائر أفراد الأسرة. لا توجد عائلة لا تستطيع أن تحقيق الحد الأدنى من الوفاق النفسي والفكري والاجتماعي ولكن هناك عائلات لا تريد أن تبذل الأسباب وتتعاوس في البذل أو لا تعرف كيف تحقق الأهداف.

إن الحظ على السماح في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وحسن الظن، والحب غير المشروط، وتفعيل الحوار، وترك الجدل والخصام من أهم توجيهات الإسلام لتوطيد أواصر المودة بين الأفراد لا سيما للأسرة التي هي نواة المجتمع فإذا انتشر فيها التعامل العف اللبق اللطيف كان خيرا للمجتمع الذي ينهض بحسن التعامل فهو طريق التفاعل الحضاري وأساس العطاء الإنساني.

أهم المراجع العربية

- الأحدب، ليلى أحمد (1423 هـ - 2003 م). نحو حياة بلا مشاكل. ط1، جدة: مركز الراهة للتنمية الفكرية.
- الاستشارات الأسرية (2006م). إدارة الاستشارات الأسرية: البيانات الإحصائية لمراجعي إدارة الاستشارات الأسرية لعام 2006م. الكويت: وزارة العدل.
- بكار عبدالكريم (1430 هـ). القواعد العشرة: أهم القواعد في تربية الأبناء. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- بيترز، روث (2004م). وضع القواعد: خمس وعشرون قاعدة للآباء والأمهات. ط1، الرياض: مكتبة جرير.
- حفي، نادية عبدالمنعم (1998م). الرقابة الأسرية "المتابعة الأسرية". في موسوعة سفير لتربية الأبناء. ج2، سفير.
- زيجلار، زيغ (2008م). أراك على القمة. ط4، الرياض: مكتبة جرير.
- سليمان، سنان محمد (2008م). مشكلة العنف والعدوان لدى الأطفال والشباب. ط1، القاهرة: عالم الكتب.
- السورطي، يزيد عيسى (1430 هـ - 2009م). السلطوية في التربية العربية. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- شحادة، محمد أمين (1427 هـ). إدارة الوقت بين التراث والمعاصر: كيف تنجح في إدارة وقتك: وبالتالي حياتك! ط1، الرياض: دار ابن الجوزي.

الصالحى، محسن حمود ، وملك ، بدر محمد (1428هـ - 2007م). *مواصفات الأزواج في عيون الزوجات: رؤية تربوية من حديث أم زرع*. ط1، الكويت: اقرأ.

الصبيح، عبدالله بن ناصر (1430هـ-2009م). *التماسك الاجتماعي والأسري في ظل ضغوط العولمة. في مستقبل الأمة وصراع الاستراتيجيات: تقرير "البيان" الارتياحي السادس*. مجلة البيان: الرياض.
عمران، هاني (2005م). *الأسرة. في الموسوعة العربية*. الجمهورية العربية السورية. موقع الموسوعة العربية: <http://www.arab-ency.com>

الغزالي، محمد (1422هـ - 2002م). *قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة*. ط7، القاهرة: دار الشروق.

الكندري، لطيفة حسين (1427 هـ = 2007 م). *نحو بناء هوية وطنية للناشئة*. ط1، الكويت المركز الإقليمي الطفولة والأمومة.

الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (1429 هـ = 2008م). *تعليقة أصول التربية*. ط3، الكويت: مكتبة الفلاح.

الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (1424 هـ = 2003 م). *تربية المرأة من منظور الشيخ محمد الغزالي*. في *مجلة العلوم التربوية*، أكتوبر (2003) العدد الرابع، جامعة القاهرة: معهد الدراسات التربوية.

كوفي، ستيفن (1426هـ - 2006م). *العادة الثامنة من الفعالية إلى العظمة*. ترجمة د. ياسر العيني. سورية: دار الفكر.

كوفي، ستيفن (2003م). *العادات السبع للأسرة الأكثر فعالية*. ط1. الرياض: مكتبة جرير.
مجلة العلوم الإنسانية (1430هـ - 2009م). *فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها*. إشراف: جان فرانسوا دورتي، ترجمة: إبراهيم صحراوي. ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

محمود، فاطمة الزهراء (1998م). *العلاقات الأسرية وآداب السلوك*. في *موسوعة سفير لتربية الأبناء*. ج2، سفير.

ملك، بدر، والكندري، لطيفة (1427 هـ = 2006 م). *تراثنا التربوي: نطلق منه ولا نغلق فيه*. ط2، الكويت: مكتبة الفلاح.

الميداني (بدون تاريخ). *معجم الأمثال والحكم لأبي الفضل الميداني*. موقع المحدث:

<http://www.muhammadith.org>

النعيمي، مريم عبدالله (1426 هـ - 2005 م). *المملكة الأسرية*. ط1، بيروت: دار ابن حزم.

Alkanderi, L. (2001) .Exploring *education in Islam: Al-Gahazali's model of the master-pupil relationship applied to educational relationships within the Islamic family*. Unpublished doctoral Thesis. Pennsylvania State University, PA: Pennsylvania.

Brookfield, S (2005). Critical Thinking. In *International Encyclopedia of Adult Education*. Edited by Leona M English. New York: Macmillan Publishers.

De Angelis , B (2003). *Secrets About Men Every Women Should Know*. USA Element.

family. (2009). Encyclopædia Britannica. *Encyclopædia Britannica 2009 Student and Home Edition*. Chicago: Encyclopædia Britannica.

Hagelin, R (2009) *30 Ways in 30 Days to Save Your Family*. Washington, DC: Regnery Publishing.

Pease, A & Pease, B. (2004). *How Compatible Are You?* 1st ed. UK: Orion.

Schlessinger, L (2004). *Woman Power. The Companion to The Proper Care and Feeding of Husbands*. 1st ed. NY: HarperCollins Publishers.

Templar, R (2006). *The rules of life*. London: Pearson Prentice Hall.

Templar, R (2008). *The rules of parenting*. London: Pearson Prentice Hall.

Ziglar, Z (2002). *Go for the top*. USA: Magna publication.